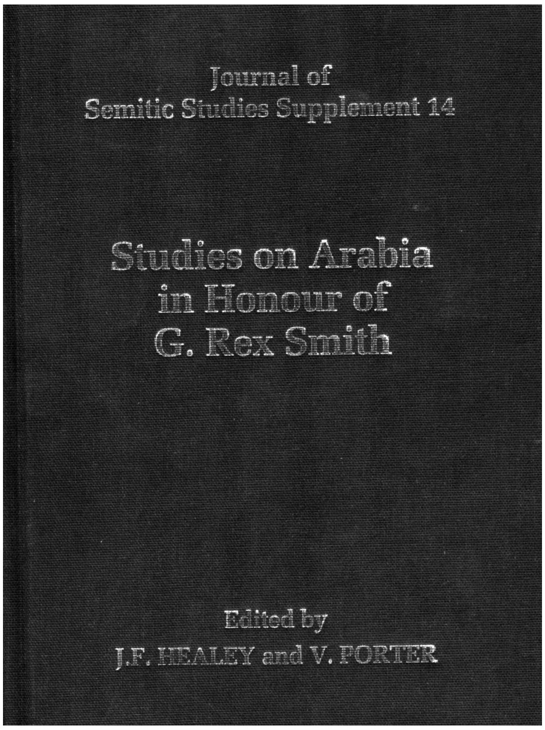
عرض الكتب



اسم الكتاب : دراسات عن الجزيرة العربية على شرف ج. ركس سميث - الملحق ١٤ لمجلة الدراسات السامية.

المحرران : ج. ف. هيلي و ف. بورتر.

الناشر : مطبعة جامعة أكسفورد.

سنة النشر : ٢٠٠٢م.

رقم الإيداع : ٠-١٠٦٤- ٨٥ - ١٩.

مقاس الكتاب : ١٦,٥× ٢٤ سم.

عدد الصفحات: ٣٦٣ صفحة.

عرض : د. أحمد أبو القاسم الحسن

أصدرت مجلة الدراسات السامية في المملكة المتحدة، العدد ١٤ لعام ٢٠٠٢م، كتاباً ملحقاً بعنوان "دراسات عن الجزيرة العربية"، احتفاءً بالأستاذ الدكتور ج. ركس سميث بمناسبة تقاعده في عام ١٩٩٧م. وقد حرّر الكتاب كل من ج. ف. هيلي وف. بورتر.

كتب ج. ف. هيلي في مقدمة الكتاب صفحات عن ركس سميث بعنوان "الأستاذ الدكتور سميث: عالم وصديق". وفي هذه الصفحات عرض ج. ف. هيلي سيرة ركس سميث منذ مولده في إيلي بالقرب من كيمبردج عام ١٩٣٨م، وحتى تقاعده عام ١٩٩٧م. وألحق ج. ف. هيلي هذه الصفحات بصفحات عن أعمال ركس سميث المنشورة، والتي تشير إلى أنه غني عن التعريف، للمتخصصين في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها. وآخر أعماله التي هي تحت النشر الآن حسب علمي، هي ترجمة كتاب ابن المجاور (تاريخ المستبصر). وتبعاً للسيرة الذاتية، التي قدمها ج. ف. هيلي، عمل ركس سميث في مطلع حياته موظفاً في محمية عدن (١٩٦٠ - ١٩٦١م)، ثم محاضراً في اللغة العربية في ديربان بجنوب أفريقيا. وعمل في المكتبة البريطانية (١٩٧٠ - ١٩٧٥م)، قبل أن يكمل دراسته العليا في جامعة كيمبردج (١٩٧١ - ١٩٧٦م). بعدها ألتحق بجامعة درهام محاضراً في اللغة العربية في عام ١٩٧٨م، ثم رئيساً لمركز الدراسات الشرق الأوسطية والدراسات الإسلامية (١٩٨٤ - ١٩٨٨م). وبعد دمج وانتقال المركز لجامعة مانشستر، انتقل ركس سميث إلى جامعة مانشستر حيث عمل بها أستاذاً مشاركاً في مدرسة الدراسات الشرق أوسطية، ومنح درجة الأستاذية في اللغة العربية عام ١٩٩٠م. كما عمل رئيساً للمدرسة لمدة ثلاث سنوات (١٩٩١ - ١٩٩٣م). وتقاعد في مطلع عام ١٩٩٧م. أشرف ركس سميث أثناء عمله بجامعتي درهام ومانشستر على أطروحات العديد من طلاب الدراسات العليا بدول الخليج، ونشأت بينه وبين طلابه أواصر صداقات متينة. ووجد فيه طلابه صديقاً دائماً خلال فترة السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين. كما كانت له علائق وصلات وطيدة مع العديد من الدبلوماسيين والأكاديميين، اكتسبها خلال فترة عمله بالجزيرة العربية، وبحوثه في تاريخ حضارتها. وعرف ركس

سميث بنشاطه العلمي الفياض في حلقة الدراسات العربية، التي تعقد سنوياً تحت إشراف معهد الآثار التابع لجامعة لندن.

يضم هذا الكتاب، الذي أُعد احتفاءً بركس سميث، ٢١ بحثاً، منها ١٩ بحثاً باللغة الإنجليزية واثنان باللغة الفرنسية. وفي هذا العرض للكتاب نتناول الموضوعات حسب ترتيبها وورودها في الكتاب نفسه. يستهل الكتاب أبحاثه بموضوع للباحث حسين بن عبدالله العمري، عنوانه: "محمد (البدر) بن أحمد بن يحيى حميد الدين (١٩٢٩ - ١٩٩٦م/ ١٣٤٧ - ١٤١٧هـ): آخر أئمة اليمن". كتب المؤلف عن مولد محمد بن أحمد بن يحيى حميد الدين ونشأته، ومناصبه ودوره السياسي، حتى وفاته في السادس من أغسطس من عام ١٩٩٦م، عن عمر ناهز السبعة والستين عاماً. واعتمد الباحث في مادة معلوماته على إفادات شخصية، وما نُشر في الصحف اليمنية والعربية والبريطانية.

ويحمل الموضوع الثاني، للباحث عبدالرحمن بن الطيب الأنصاري، عنوان: "الجرهاء ميناء قرية الفاو". في مطلع البحث تساءل المؤلف عن أسباب عدم إشارة المصادر الإغريقية والرومانية لقرية الفاو على الرغم من معاصرتها للفترات الهلنستية والرومانية. وللإجابة عن هذا التساؤل، الذي لا شك شغل أذهان العديد من الباحثين في تاريخ الجزيرة العربية، واعتماداً على الربط المنطقي والتاريخي للأحداث في منطقة الجزيرة العربية، يرى الباحث أن ما كتب عن الجرهاء ربما كان وصفاً لقرية الفاو. ويشير المؤلف أن قرية الفاو لعبت دوراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ودينياً مهماً، وأنه - لا بد - كان لها ميناء يحمل اسمها على الخليج. وقد عرفت الجزيرة العربية في تاريخها ظهور بعض الموانئ حاملة أسماء حواضرها، مثل: لحيان (خليج العقبة)، والحجر (ميناء الحجر). ويعتقد الباحث أن الجرهاء ربما كان اسماً محرفاً لقرية، وفي الوقت نفسه ميناء لذلك المركز الحضاري في وسط الجزء الجنوبي من جزيرة العرب.

أما الموضوع الثالث، للباحث باولو م. كوستا فحمل عنوان: "ساحل جنوب الجزيرة العربية والطرق التجارية القديمة في ضوء الاكتشافات الحديثة والمصادر المكتوبة". استهل الباحث موضوعه بنقد المنهج المتبع من قبل الباحثين في دراساتهم للمصادر المكتوبة، مشيراً، في الوقت ذاته، للعمل القيم الذي قامت به نايجل قرووم في محاولتها سد الفجوة، التي كانت سائدة بين المؤرخين والآثاريين. وأخيراً قام الباحث بتقييم ونقد وتفسير ما أنجزه بعض الباحثين في دراستهم لأحد أهم المصادر المعرفية المكتوبة عن موانئ ساحل جنوب الجزيرة العربية، وهو كتاب: بريبلوس البحر الأرثري، الذي كتبه إغريقي من الإسكندرية في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي.

ويأتي الموضوع الرابع للباحثة سلمى دملوجي تحت عنوان "طراز البناء في وادي حجر، حضرموت"، متضمناً عدداً من الرسوم المعمارية التوضيحية والصور. ويلقي البحث الضوء على نوع المنزل والمصطلحات المعمارية بوادي حجر. وأشارت الباحثة للتأثيرات المعمارية لوادي ضعان وشبوة على وادي حجر بحكم موقعه وقربه الجغرافي لهما. وأوضحت أن هذا التأثير أكثر وضوحاً من تأثير المدن الساحلية كالمكلا والشحر بحضرموت.

وتحت عنوان "العرف والشريعة والمحاصصة في اليمن"، كتب الباحث وليام دونالدسون موضوعاً تناول فيه العلاقة بين العرف والشريعة والمحاصصة في اليمن. والمحاصصة هي استغلال الأرض لمصلحة المالك مقابل جزء من المحصول. وتخضع المحاصصة لنوع من عقود الإيجار الزراعية المعروفة في معظم الدول الإسلامية.ولهذا النوع من العقود مشاكله كما يتضح في سياق البحث. ويركز البحث على مناقشة وجهات نظر مذهبي الزيدية والشافعية من هذه العقود.

وكتب الباحث والتر دوستال موضوعاً بعنوان: "الصيعر: نظام اجتماعي قبلي بجنوب الجزيرة العربية منذ عام ١٩٦٠م، مع ملاحظات إضافية تم جمعها في عام ١٩٩٥م". استعرض الباحث بيئة منطقة قبيلة الصيعا، التي تمتد إلى الشمال والشمال الغربي والشرق من وادي حضرموت، وتناول النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لهذه القبيلة. واختتم الباحث موضوعه عن أثر الحضارة الغربية على قبيلة

الصيعار، تحت ظل حكومة اليمن الجنوبي الديمقراطي السابقة.

وقدم الباحث جون هيلي دراسة لغوية تحت عنوان: "الخط النبطي - العربي: نقشا جوسن - سافيناك النبطيين رقم ١٧ و١٨". وألقى الباحث مزيداً من الضوء على نقش رقوش (من مدائن صالح)، الذي سبق أن درسه هو وركس سميث، ونشر بمجلة أطلال عام ١٩٩٢م. ويعد هذا النقش المؤرخ لعام ٢٨٦م، من أكبر النقوش العربية المكتوبة بالقلم النبطي.

قدم الباحث جفري كنج بحثاً بعنوان: "النبي صلى الله عليه وسلم وتحطيم أصنام الجاهلية"، أشار فيه إلى أن نهاية دين الجاهلية كانت كاسحة وسريعة في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم. ولم تستطع آلهة الجاهلية وديانتها الصمود أمام دين الإسلام. وقد لعب حماة آلهة الجاهلية في الجزيرة العربية دوراً كبيراً في تحطيم هذه الأصنام. واعتمد الباحث في دراسته علي النقوش والمسوحات والتنقيبات الأثرية، في المملكة العربية السعودية ومملكة البحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة.

وتحت عنوان: "رؤية جديدة لتفسير ظاهرة الكتابات المعكوسة في الخط العربي"، قدم الباحث مشلح المريخي بحثاً أشار فيه إلى أن مؤرخي الفن الإسلامي، عامة، والخط العربي، خاصة، يجمعون على أن ظاهرة الكتابات المعكوسة لم تعرف إلا في أواسط العصور الوسطى، وبالتحديد في بداية العصر العثماني. ويتمثل هذا الدليل الأثري في ثلاثة نقوش صخرية في المملكة العربية السعودية، تعود للفترة الإسلامية المبكرة، كتبت بظاهرة الكتابة المعكوسة. وعرض الكاتب نقشين من هذه النقوش، أحدهما يعرف بنقش غار الحمام بتيماء، والثاني بنقش الحناكية. وعلى ضوء هذه الدراسة يرى الكاتب أن هذه الكتابات المعكوسة المبكرة كانت الإرهاصات الأولى لما شاع في العصور الإسلامية المتأخرة، خاصة في العصر العثماني. ويرى الباحث ضرورة إعطاء المزيد من الاهتمام للعصر الإسلامي المبكر، لاسيما القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، والتي تكمن فيها بذور الكثير من الظواهر العامة والخاصة، والسمات الرئيسة للفن الإسلامي والخط العربي.

كتب الباحث ديفد موري موضوعاً بعنوان: "اختيار وتعليم وامتحان المترجمين للخدمة القنصلية بالشرق ١٨٧٧ - ١٩١٦م"، أشار فيه إلى أن الغرض من اختيار وتعليم وامتحان المترجمين هو سد حاجة القسم القنصلي، وإعداد نواة من موظفين ذوي معرفة يمكن الاعتماد عليهم في أداء مهامهم القنصلية، وأوضح الباحث سلبيات وإيجابيات هذا المنهج.

تحت عنوان: "نقوش ما قبل الإسلام بمنطقة سكاكا، بالمملكة العربية السعودية" تناول الباحث خليل المعيقل دراسة لنقشين عُثر عليهما بالقرب من سكاكا. والنقشان جزء من مجموعة نقوش نبطية سبق أن دراست من قبل مليك وإستاركي. وفي ضوء دراسته أشار الباحث إلى أهمية هذين النقشين في إيضاح وتأكيد فكرة تطور الخط العربي، داخل الجزيرة العربية وليس خارجها.

في مقال بعنوان "نحو معرفة أفضل للتاريخ السياسي والديني لكامناهو (جوف اليمن)"، كتب الباحث كرستيان جوليان روبان دراسة لغوية باللغة الفرنسية عن ثلاثة نقوش سبئية جديدة لم تنشر من قبل. وهذه النصوص، التي تعود لكامناهو بجوف اليمن، تضم مجموعة من المفردات وأسماء الأعلام جرت دراستها وتحليلها بشكل مفصل من قبل الباحث.

وكتبت الباحثة ف. بورتر مقالاً بعنوان: "موانئ اليمن وتجارة المحيط الهندي في عهد الطاهريين ١٤٥٤ - ١٥١٧م"، عرضت فيه طبيعة المعلومات التي يمكن أن تساعد في إيضاح صورة الموانئ والتجارة في اليمن خلال فترة الحكم الطاهري في غياب النصوص المكتوبة. وأشارت الباحثة إلى أنه على الرغم من أن الكتابات اليمنية وغير اليمنية تتناول الأحداث التاريخية في درجات متفاوتة، إلا أن معلوماتها عرضية ثانوية في إطار التدخل المملوكي والبرتغالي، والكوارث مثل غرق السفن وحرق المدن. ونوّهت الباحثة بأهمية هذه المعلومات الثانوية للتعرف على التجار وعائدات التجارة، وأهم المدن التجارية، آنذاك. وأضافت الباحثة بأن الأدلة الأثرية بدأت تدعم هذه المعلومات الثانوية. وأكدت الباحثة أن الكثير من المعلومات عن أهمية هذه المدن، ستتضح عند إجراء المزيد من

المسوحات والتنقيبات الأثرية.

وتحت عنوان: "زبيد: المدينة الدائرية اليمنية" ناقشت الباحثة نهى صادق الرسوم التي أعدها ابن المجاور لمدينة زبيد، وأهمية هذه الرسوم في معرفة مخطط المدينة وتحصيناتها، وأهم مظاهرها المعمارية. وقد كانت مدينة زبيد واحدة من أهم المراكز السياسية والدينية في اليمن في العصور الوسطى. والرسوم التي ناقشتها الباحثة وردت في كتاب ابن المجاور "صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز"، والذي يعرف أيضاً باسم "تاريخ المستبصر". وهذا الكتاب وجد اهتماماً كبيراً خاصة من ركس سميث، الذي ترجمه إلى الإنجليزية.

تقصت الباحثة ماري كلو موضوعاً باللغة الفرنسية بعنوان: "رواية سوقطرية حول أسطورة أبي شوارب". وفي هذا البحث أشارت الكاتبة إلى أن الرواية السوقطرية حول أسطورة أبي شوارب، تفتقر للمراجع التاريخية الواضحة، وتشبه أسطورة أبي شوارب الروايات التي تبدأ بالقول "كان في قديم الزمان..."، إذ لا يوجد ذكر لاسم شخصية سوى شخصية البطل، التي ذُكرت بكنيتها العربية. وأضافت الباحثة أن أسطورة أبي شوارب تمدنا بالكثير من الحقائق التاريخية، وتعمل على إحياء الأخلاق والتقاليد السوقطرية، التي تمثل الأساس لحياة المجتمع السوقطري.

وقدم الباحث كليف سميث مقالاً بعنوان: "الفرصة الضائعة لسليمان باشا بالهند (ترجمة ذات حواشي لقطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، البرق اليماني في الفتح العثماني، فصول ١ – ٨)". وكما يشير عنوان البحث، قدم الباحث ترجمة لثمانية فصول كتبها النهروالي (١٥١١ – ١٥٨٢م) عن سليمان باشا، الحاكم العثماني لمصر، وممثل السلطان العثماني سليمان القانوني. ومن خلال تحليله لشخصية النهروالي وما سطره من معلومات عن سليمان باشا وفرصته الضائعة لحكم الهند، يتضح – كما أشار الباحث – أن النهروالي مصدر معلوماتي مهم، خاصة للفترة الباكرة من القرن السادس عشر الميلادي.

في مقال بعنوان: "البيان كأساس للتصنيف: العناصر اللغوية لفكر الجاحظ"، تناول الباحث ياسر سليمان كتاب الجاحظ "البيان والتبيين" وأوضح أنه أساس تصنيفي لغوي، ميز فيه الجاحظ الإنسان عن بقية المخلوقات. كما صنف المجموعات الإنسانية إلى عجم وعرب. ولفهم أعمال الجاحظ وتفسيرها نظر الباحث إليها من خلال النظرية الحديثة. وفي دراسة متعمقة تعرض الباحث لبعض العناصر اللغوية في أدب الجاحظ في كتاب "الحيوان"، واستعرضها من بيئتها وإطارها الفكري والسياسي والاجتماعي.

كما عرض الباحث سليمان بن عبدالرحمن الذييب بحثاً بعنوان: "نقوش نبطية جديدة من قاع المعتدل". والبحث دراسة لغوية تحليلية لخمسة نقوش جديدة، عُثر عليها بجبل قاع المعتدل شمال شرقي مدائن صالح، على طريق الحجاز. وقد ذودتنا هذه النقوش، كما يشير الباحث، بمفردات جديدة وبعض أسماء الأعلام، التي تم تحليلها ودراستها دراسة مقارنة ومفصلة.

وكتب الباحث محمد بن عبدالرحمن الثنيان موضوعاً بعنوان: "نقشان صخريان لأسرة ابن يعفر الحاكمة اليمنية". والبحث دراسة لنقشين عثر عليهما الباحث في القطاع السعودي من طريق الحج اليمني الأعلى (النجدي)، الذي يربط صنعاء بمكة الكرمة. وللنقشين أهمية تاريخية إذ يشيران لأسماء اثنين من أسرة بني يعفر اليمنية الحاكمة، هما محمد بن يعفر، وإبراهيم بن محمد بن يعفر. وهذان النقشان يعدان حتى الآن النقشين الوحيدين اللذين يعودان لأسرة ابن يعفر اليمنية الحاكمة. وقد أرخ الباحث هذين النقشين للربع الأخير من القرن الثالث الهجري (٢٦٩ – ٢٨٢هـ/ ٨٨٢ – ٨٩٥م)، وقد دعم الباحث بحثه بالصور والرسوم التوضيحية والخرائط.

وقدم الباحث دانيال مارتن فارسكو دراسة بعنوان: "الزراعة في زبيد الرسولية"، ناقش فيها الدور الذي لعبته مدينة زبيد الرسولية (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤م) في التقاليد الزراعية بمنطقة الساحل اليمني أو تهامة. وتركزت الدراسة في هذا البحث على المعلومات المتوافرة عن المحاصيل والوسائل الزراعية في وادي زبيد، في عهد الرسوليين. وأشار الكاتب في مقدمة البحث للمصادر التي

اعتمد عليها في دراسته، وذلك مثل المصادر التاريخية اليمنية المكتوبة والوثائق الإثنوغرافية، التي تتناول الوسائل الزراعية التقليدية بوادي زبيد.

وأخيراً، يختتم الباحث أحمد بن عمر الزيلعي قائمة موضوعات الكتاب ببحث عنوانه "مدينة جازان العليا في ضوء نقش شاهدي". والنقش موضوع الدراسة اكتُشف في آثار مدينة جازان العليا، ويوجد الآن في رئاسة مشروع جازان للتنمية الزراعية. وكتب النقش بخط الثلث، ويخص امرأة تدعى فرات بنت علي بن محمد الجابري. ويؤرخ النقش وفاتها في رمضان من عام ٨٦٨هـ (مايو/ يونيو ١٤١٦م). والنقش – كما أوضح الكاتب – يعود للفترة الأخيرة من الاستيطان بمدينة جازان العليا. والكتابة الفنية التي سطر بها النقش تشير للأهمية التاريخية لمدينة جازان العليا وثرائها. وربما يتم الكشف مستقبلاً عن المزيد من شواهد القبور التي تعكس معلومات مهمة عن شخصيات المدينة وعائلاتها.

ويمكن القول في ختام هذا العرض الموجز أن هذا الكتاب مع أنه أعد لمناسبة تكريمية إلا أنه يعد مرجعاً مهماً للدارسين في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، إذ شارك في كتابة موضوعاته عدد من المتخصصين والباحثين في تاريخ وآثار الجزيرة العربية. وتناول عدد كبير منهم الكتابات والنقوش القديمة. وتعد دراسة الكتابات العربية القديمة والإسلامية المبكرة حجر زاوية في آثار الجزيرة العربية، وذلك لأهميتها في وضع الأطر التاريخية الحضارية، والتعرف من خلالها على مسيرة الكتابات والخطوط وتطورها.

أخيراً، فإن الكتاب في مجمله يتسم بالدقة والرصانة؛ فمن خلال مطالعته يتضح الجهد الكبير الذي بذله المحرران في تنسيق موضوعات الكتاب بطريقة منهجية مترابطة وأسلوب جزل سهل. إضافة إلى الإخراج الجيد لمقالاته. وقد دعّم معظم الباحثين موضوعاتهم بالصور والرسوم التوضيحية، التي تساعد القارئ على استيعاب المادة.

د. أحمد أبوالقاسم الحسن: قسم الآثار - كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود - ص. ب ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١، المملكة العربية السعودية. elhassan52@hotmail.com